العدد الرابع ■ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٨ ■ السنة الأولى
No. 4 ■ OCTOBER 1988 ■ YEAR 1

الناقد

AN.NAQID
A MONTHLY CULTURAL REVIEW

شهريّة تعنى بإبداع الكاتب وحريّة الكِتاب

■ شفيق مقار:
الأدب والثورة

■ عبد السلام العجيلي:
أعجوبة الشعر العربي

■ الصادق النيهوم:
مات لينين للمرة الثانية

■ أنسي الحاج:
خواتم

■ محي الدين صبحي:
حداثة التراث وتراث الحداثة

■ غالي شكري:
من لا يقتل ليوسا؟

■ عبد النبي اصطيف:
نحو مفهوم معاصر
لطبيعة النقد الأدبي

■ عبد الوهاب بو حديبة:
الاسلام والجنس

■ الشعر:
فاضل العزاوي،
كمال خير بك،
نزار سلوم،
علي سليمان،
أمجد ناصر،
ادريس عيسى

■ القصة:
عبد العزيز المشري
هنريييت عبودي
مالك جعفر

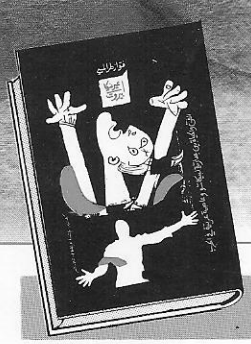

● ساره العامر:
موهبة اغتالتها السياسة

● مودي سمعان:
في البدء كانت الأنثى والكلمة

£ 3.00 in U.K.

نحو منظور معاصر لطبيعة النّقد الأَدبي

عبد النبي اصطيف

■ ثمة مدخلان لتناول مصطلح النقد الأدبي: أولهما مدخل تاريخي Diachronic يتبع مفهومه عبر العصور، وفي مختلف التقاليد الثقافية للأمم والشعوب المختلفة[1]، وثانيهما مدخل آني Synchronic ينظر في طبيعة هذه الفعالية المعقدة من وجهة نظر العصر الراهن، مستلهماً التطورات الهائلة التي حققتها المعرفة البشرية المتصلة بهذا الحقل من حقول النشاط الفكري الرفيع، وخاصة في ميدان العلوم الإنسانية Humanities، كاللغويات والسيميائيات Semiotics، وعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها.

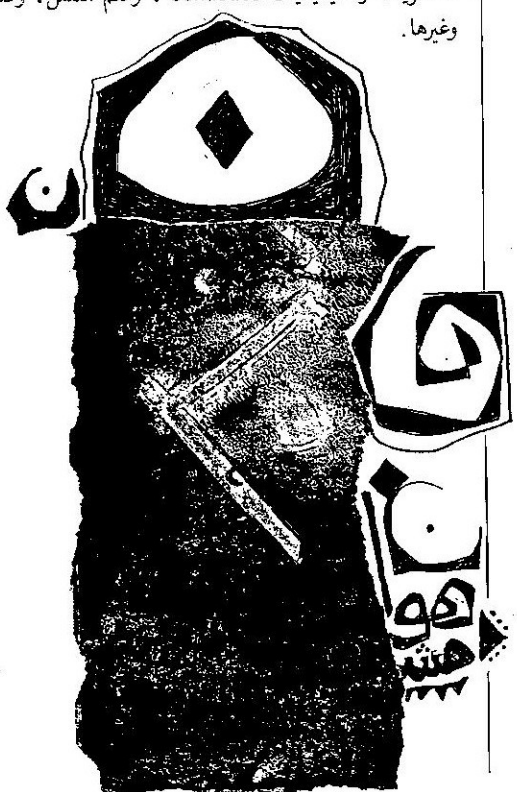

ورغم فائدة المنظور التاريخي في التعامل مع هذا المصطلح، فإن تبنيه ربما كان أكثر فائدة لدارس الأدب ومؤرخه منه للناقد الذي يعنى أساساً بمواجهة النصوص الأدبية ـ يشرحها ويحللها ويفسرها ويصدر أحكاماً بشأنها الى غير ذلك من جوانب العملية النقدية التي تستهدف في التحليل النهائي تطوير عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع المعني به.

ومن هنا فإن تفحص طبيعة النقد الأدبي على هدي ما تقدمه الدراسات الحديثة في مختلف ميادين المعرفة، ربما كان أكثر جدوى في إيضاح جوانب هذا المصطلح لممارسيه المعاصرين في الثقافة العربية الحديثة في الوطن العربي، وربما في تحقيق نوع من الاتفاق على الحدود الدنيا من تضمنات هذا المصطلح، ودلالته.

* * *

كيف يتبدى النقد الأدبي لنا؟

قد أمسك برواية ما، وأقرأ صفحات منها، ولكني ما ألبث ان أدعها جانباً، وأنصرف الى عمل آخر. وقد استمع الى قصيدة في أمسية شعرية، ولكني سرعان ما أتشاغل عن منشدها بالتفكير في شأن من شؤون حياتي. وقد أقرأ قصة قصيرة ما وأنا في طريقي من مدينة الى أخرى في قطار أو في حافلة، فتنسيني ما حولي ومن حولي فأمتلىء رغبة في ان أقرأ كل شيء خطه صاحبها، وأنتهز أقرب فرصة لشراء مجموعاته وقراءتها جميعاً. وقد انهمك في قراءة مقالة لا أدعها حتى انتهي منها، وأسعى بعد ذلك الى أرشفتها وحفظها. وقد تروقني أبيات معينة في مجموعة شعرية، فأسرع الى كتابتها في مذكرتي، أو أطلب من خطاط خطها في لوحة أعلقها في مكتبي.

ان جميع تصرفاتي هذه ـ ترك الرواية جانباً، التشاغل عن منشد القصيدة، شراء المجموعات القصصية، الأرشفة والحفظ، النسخ والتعليق ـ تنطوي على موقف ما، وتتضمن حكم قيمة، تعكس إعجاباً أو نفوراً، اهتماماً مسرفاً أو عدم اكتراث، شغفاً كبيراً أو مقتاً شديداً، ولكنها لا يمكن أن تدعى بحال من الأحوال نقداً أدبياً. لأن النقد الأدبي ما لم يتبدى لنا في شكل انشاء لغوي، وما لم يتخذ لنفسه ثوب نص يقرأ، أو يسمع، وبالتالي يمكن ان ينظر فيه ويدرس، فإنه لا يكون نقداً. إن النقد الأدبي إنشاء لغوي discourse عن إنشاء لغوي آخر هو الأدب[2]. وربما كان من أهم ما يميز النقد الأدبي عن غيره من أنواع النقد الأخرى هو أنه يستخدم الأداة نفسها التي يستخدمها موضوعه، وهي اللغة الطبيعية natural language (تمييزاً لها عن غيرها من اللغات الاصطناعية كلغة إشارات المرور، ولغة الثياب، ولغة الرتب العسكرية، وغيرها). إن أنواع النقد الأخرى كالنقد الموسيقي، والنقد الفني، والنقد التشكيلي، لا تستخدم العلامات الموسيقية أو الحركة، أو الألوان، أو المواد الأخرى التي تستخدمها موضوعاتها (العُروض الموسيقية، والرقص، والرسم، والنحت) بينما يشارك النقد الأدبي موضوعه ـ الأدب ـ الأداة التي يستخدمها[3]. وبالطبع فإن هذه المشاركة في الأداة لا تقتصر على مجرد هذا الاستخدام. فهي اولاً تحدد طبيعة النقد الأدبي. وهي تعني ثانياً أن النقد الأدبي في ثقافة ما، يشارك أدب هذه الثقافة في المكونات الأساسية. وعلى هذا فالمكونات الرئيسية للأدب العربي الحديث هي نفسها المكونات الرئيسية التي تشكل النقد العربي الحديث الذي يمثل الإفصاح عن الفكر النقدي الضمني الذي يستند إليه هذا الأدب في عملية إنتاجه.

وإذا ما رغب المرء في أن يشير بإيجاز الى هذه المكونات Constituents فإنه يمكن ان يذكر أول ما يذكر اللغة العربية لا على أنها نظام لغوي Langue يحكم إنتاج أي كلام Parol فردي وحسب، ولا على أنها أداة للتفكير تحكم أنماطه، وإجراءاته، واستراتيجياته فقط، ولكن على أنها كذلك مجموعة

نصوص Texts تُتناقل شفاهاً أو كتابة، وتعود للأمة العربية في تاريخها الطويل منذ عصور ما قبل الجاهلية وحتى يومنا هذا. إن الأدب العربي الحديث مثله في ذلك مثل النقد العربي الحديث محكوم بهذه اللغة العربية التي يستخدمها كل من الأديب والناقد، ولا سبيل الى الفكاك من تأثيرها.

وثاني هذه المكونات هو المجتمع العربي الحديث بجميع جوانبه. إن الإنشاء العربي الحديث، سواء أكان أدباً أم نقداً هو إنشاء اجتماعي -So cial discourse ، ينتجه أعضاء في هذا المجتمع (هما الكاتب والناقد) لأعضاء آخرين هم القراء، استجابة لحاجات اجتماعية محكومة بزمان ومكان وجملة ظروف متنوعة. وهم ينتجون ما ينتجون ضمن مؤسسات اجتماعية لها شروطها، وأعرافها، وأنظمتها، وأهدافها، وإجراءاتها، وقوانينها، وعاداتها التي تؤثر على نحو أو آخر في تشكيل هذا الإنشاء الذي نقرؤه أدباً ونقداً.

وثالث هذه المكونات هي العلاقة مع الخارجي - الآخر - غير العربي The Outsider . ان الإنشاء العربي الحديث أدباً ونقداً أنتج في ظروف مواجهة واسعة وشاملة ومتعددة المستويات والجوانب والوجوه مع الآخر - وهو في هذه الحالة أوروبا. إن الأدب العربي الحديث والنقد العربي الحديث ظهرا في ظل هذا الاحتكاك بالآخر الأدبي سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وأدبياً. وقد تركت هذه المواجهة بصمات واضحة على كل من الأدب والنقد في المجتمع العربي الحديث. وبكلمات أخرى، لقد كانت هذه المواجهة مكوناً رئيسياً من مكوناتهما. ولذلك فليس هناك من سبيل لدراسة هذين الإنشائين دون النظر في دور هذا المكون وتبين أثره في تشكيل كل من النص الأدبي العربي الحديث، والنص النقدي العربي الحديث.

ولكن اشتراك الإنشائين الأدبي والنقدي في الأداة - التي هي اللغة - ومن ثم في المكونات الرئيسية الأخرى - المجتمع العربي الحديث، والمواجهة الشاملة مع أوروبا - لا يعني محو كل تمييز فيما بينهما. فرغم كل ما تقدم من اتحاد في الإداة والمكونات بين الأدب والنقد، إلا أننا نظل نشير إلى الأول منهما على أنه أدب وإلى الثاني على أنه نقد أدبي. أي أن هناك اختلافاً في طبيعة كلا الإنشائين يسوغ استخدام مصطلحين مختلفين للإشارة الى كل منهما.

والحقيقة أن الإنشاء الأدبي Literary discourse يستخدم اللغة استخداماً مختلفاً عن استخدام الإنشاء النقدي Critecal discourse لها. وإذا كان لكل إنشاء عدة وظائف، فإن مما لا شك فيه ان الوظيفة السائدة على غيرها من الوظائف الأخرى في الإنشاء الأدبي هي الوظيفة الجمالية Aesthetic Function التي تقف وراء أدبية الأدب Literariness . على حين أن اللغة في الإنشاء النقدي تستخدم لتسهيل عملية التفكير المنظم عن الإنشاء الأدبي موضوع النقد. وهي لذلك تكاد تكون في مجملها مجموعة مصطلحات Terms ومفاهيم Concepts ، تستخدم بقصد ووعي لدلالاتها المحددة تحديداً دقيقاً ضمن الإطار النظري العام للعملية النقدية.

والواقع ان تفحصاً دقيقاً لأي نص نقدي في أية لغة من اللغات يوضح هذا. فنص على سبيل المثال كالتالي:

«ومن خلال منظور آخر يمكن القول إن النص المبدع، الذي أنتجه المؤلف، هو تجربة فنية بالقوة، وإن العنصر الوحيد القادر على تحويلها إلى تجربة فعلية هو المتلقي أو مستهلك هذه التجربة. وبالتالي فإن للمتلقي أو للقارىء دوراً هاماً ربما يقارب في أهميته دور منتج هذا العمل، وإن دراسة العمل الأدبي لا يمكن ان تكون كاملة مستوفية لأهم جوانب العملية الأدبية ما لم تتطرق الى هذا الدور الذي يلعبه القارىء في تحويله التجربة الفنية من دور القوة الى دور الفعل»[٤].

تتضافر على تشكيله مفردات مثل:

(النص، والمبدع، والمؤلف، والتجربة الفنية، والموجودة بالقوة، والموجودة بالفعل، والمتلقي، والقارىء، والتحويل، والإنتاج، والدور، والعملية الأدبية وغيرها).

وكلها مصطلحات ذات دلالات محددة الغرض منها تسهيل عملية التفكير المنظم عن الأدب والتي هي جوهر العملية النقدية.

وعلى الرغم من هذا الفارق الأساسي في توظيف كل من الأدب والنقد للغة، إلا ان الصلة بينهما صلة عضوية تصل الى تحديد طبيعة النقد الأدبي ذاتها. فالأدب يمارس تأثيراً محدداً على طبيعة النقد لأن هذا الأخير محكوم بموضوعه الذي هو الأدب، وإلا لكان نقداً آخر غير النقد الأدبي. والأدب ماثل دوماً في النقد الأدبي، رغم ان مثوله هذا يتخذ أشكالاً مختلفة. وعلى أي حال فإن حضور الإنشاء الأدبي في ذهن منتج الإنشاء النقدي يمكن ان يكون:

- حضوراً صريحاً،
- حضوراً ضمنياً،
- حضوراً بالفعل،
- حضوراً بالقوة.

ولننظر في هذه الأشكال المختلفة:

أ. الحضور الصريح : Explicit Presence

وغالباً ما يكون هذا في النقد التطبيقي عندما يواجه ناقد ما نصاً أدبياً معيناً (قصة قصيرة، قصيدة، ملحمة، رواية، مسرحية، . . .) يشرحه، ويحلله، ويفسره، ويصدر حكماً بشأنه. إن النص الأدبي يكون في هذه الحالة ماثلاً مثولاً صريحاً في النص النقدي الذي ينسج حوله، ويحيل إليه.

ب. الحضور الضمني : Implicit Presence

ويكون هذا في النقد النظري أو فيما يسمى بأبحاث نظرية الأدب، عندما يتحدث الناقد عن أمور تتصل بطبيعة الأدب ووظيفته وحدوده، وأعرافه، وقواعده، ونواظم إنتاجه وما الى ذلك. فهو وإن كان لا يشير على نحو صريح الى هذا النص أو ذاك، ولكنه يفكر ضمناً بنصوص محددة في آداب محددة، وإن كان لا يذكرها ويفصح عنها.

والواقع أن قارىء النص النقدي يستطيع إذا ما أوتي ثقافة واسعة، ان يكتشف هذه النصوص من غير كبير عناء. فعلى سبيل المثال إن أرسطو عندما تحدث في كتابه (فن الشعر Poetics) عن المحاكاة وأنواعها وأدواتها وموضوعها، وعن المأساة والملهاة والملحمة ونظرية التطهير، ووحدة العمل، وغير ذلك، إنما كان يصدر عن نصوص الأدب اليوناني التي أنتجها الشعب اليوناني حتى عصره. وعلى الرغم من أنه لم يكن يشير في كل فكرة الى النص الأدبي الذي يتأمل فيه ضمناً، فإن دارس الأدب اليوناني يستطيع ان يوثق هذه الأفكار بإشارات واسعة الى نصوص محددة من هذا الأدب.

جـ. الحضور الفعلي الحقيقي Real Presence

ويكون هذا عندما يشير الناقد صراحة أو ضمناً الى نص أدبي معين أو إلى مجموعة نصوص أدبية يدافع عنها، أو يسوغ انتاجها، او ينتقدها، أو يرفضها، أو يشرح ما غمض منها، أو يفسرها الخ. . . ان هذه النصوص موجودة بالفعل. لقد كتبها كتاب معينون في عصر الناقد أو في عصور سبقته بلغة أو بلغات أخرى، ولأنها موجودة فعلا فهو قد قرأها فعلا بلغتها الأم، أو مترجمة، ويستطيع كذلك أي قارىء لنقده أن يعود إليها ويقرأها بدوره

(١) كما نجد لدى كبير مؤرخي النقد الحديث رينيه ويليك في مقالته «النقد الأدبي» وانظر:
René Wellek
'Literary Criticism', in,
Paul Hernadi (ed.),
What Is Criticism ?
(Indiana University Press,
Bloomington, 1981)
PP 297 – 321

(٢) أنظر
Roland Barthes,
Critical Essays,
translated from the French
by Richard Howard (North-
western University Press,
Evanston, 1972) p. 258

(٣) أنظر
Gérard Genette,
Figures of Literary Discourse
translated by Alan Sheridan,
Introduction by Marie-Rose
Logan (Basil Blackwell,
Oxford, 1982) pp 3 – 4

(٤) أنظر
عبد النبي اصطيف،
«قراءات غير متأنية في النقد المعاصر: في البحث عن دور القارىء»، المعرفة (دمشق)، السنة الواحدة والعشرون، العدد ٢٥١، كانون الثاني، ١٩٨٣، ص (٢٥٠).

عبد النبي اصطيف:
ناقد من سورية، واستاذ الأدب المقارن في جامعة دمشق.

إذا ما رغب في ذلك.

د. الحضور بالقوة **Potential Presence**

ويكون ذلك عندما يكتب الناقد في النقد النظري، او الشعرية Poetics أو نظرية الأدب، ولا يكتفي بالصدور عن النصوص الأدبية الموجودة بالفعل، بل يمضي الى ما وراءها من نصوص أدبية ممكنة، أي موجودة بالقوة يمكن لأي كاتب ان ينتجها إذا ما اقتنع بحاجة ذاك الناقد النظري بشأنها. فعلى سبيل المثال جميع الروايات العربية ذات نهاية واحدة، ولكن لو جاء ناقد عربي ما وتحدث عن نص روائي بنهايتين أو أكثر (مستلهماً في ذلك رواية الكاتب الانكليزي المعروف جون فاولز John Fowles المعنونة بـ (امرأة الملازم الفرنسي The French Lieutenant's Woman) ودعا إلى إدخال هذا التكنيك الى عالم الرواية العربية وقدم ما يسوغ ذلك، وناقش النتائج المرجوة لو تحقق ذلك على يد روائي عربي ما، فهو يشير في نصه النقدي عندها الى نص أدبي عربي موجود بالقوة يمكن ان يظهر الى حيز الوجود ويرى النور على يد كاتب ما يقتنع بجدوى تجربة كهذه في أي وقت في المستقبل القريب أو البعيد.

والحقيقة ان كثيراً من الكتابات النقدية المعاصرة في ميدان نظرية الأدب تصدر عن نصوص أدبية ممكنة، أو موجودة بالقوة. فكما ان النظام اللغوي Language ، ينبغي ألا يستغرق النصوص اللغوية الموجودة بالفعل فقط، بل يستوعب كذلك النصوص اللغوية الممكنة، أو الموجودة بالقوة، فإن النظام الأدبي، أو الشعرية، أو نظرية الأدب ينبغي ألا ينظم النصوص الأدبية الموجودة بالفعل فقط، بل يتعداها الى النصوص الموجودة بالقوة، وبالتالي يتمكن من ممارسة دور ايجابي طليعي في تطوير الانتاج الأدبي بما يخدم قيم المجتمع المعني به.

وربما كان من أهم ما يوجه من نقد الى فن شعر أرسطو، او الى مدى كفايته، على الرغم من الحفاوة الكبيرة التي ما زال يظفر بها لدى النقاد، هو صدوره فيه عن النصوص الأدبية اليونانية الموجودة فقط، وبالتالي عدم استيعابه للنصوص الممكنة. انه بكلمات أخرى لم يفكر في الممكن والمحتمل في عالم النصوص الأدبية، وكلاهما موجود بالقوة، وبالتالي فإنه إذا ما فهم على النحو الذي فهمه نقاد الكلاسية الجديدة ـ يمكن ان يحد من أفق عملية الانتاج الأدبي في الثقافة التي تكتفي بكتابه.

وبينما يتقدم الإنشاء الأدبي زمنياً على الإنشاء النقدي في الأشكال الثلاثة الأولى من الحضور والتي تقدم ذكرها، فإنه يغدو في الشكل الرابع منها، متأخراً عنه وتابعاً له، وبدل أن يمارس وظيفة تحديد طبيعة النص النقدي على نحو مباشر، يصبح هو نفسه عرضة لهذا التحديد. أي أن النص النقدي المتقدم زمناً يصبح المحدد لطبيعة النص الأدبي المتأخر عنه زمنياً، رغم ان هذا الأخير يمارس تأثيراً ما غير مباشر على النص النقدي الذي استلهمه، وكان الباعث على إنتاجه في المقام الأول.

* * *

لقد أشرت فيما تقدم الى وجوه من العلاقة العضوية بين الانشاءين الأدبي والنقدي، وتناولتها من منطق معرفي حديث مختلف عن المنطق السائد في الدراسات العربية التقليدية، التي تمس هذه العلاقة من الخارج فقط. ورغم عدم كفاية هذه الدراسة الخارجية لتلك العلاقة المشار إليها، فإنها يمكن ان تكون مكملة لما قدمت من دراسة.

ولكن ماذا عن مواصفات الإنشاء النقدي الأخرى؟

إن الإنشاء النقدي أكثر من مجرد إنشاء محكوم بإنشاء آخر هو الأدب، وثمة خصائص جوهرية أخرى تؤثر في منظورنا له، وتعاملنا معه. □

رياض الريس للكتب والنشر

شعر

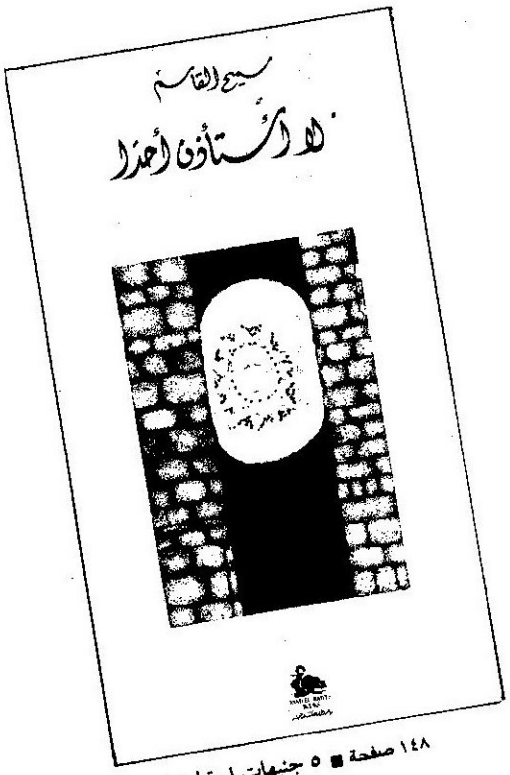

١٤٨ صفحة ■ ٥ جنيهات استرلينية

صدر حديثا

يطلب من الناشر

RIAD EL-RAYYES BOOKS LTD.
4 SLOANE STREET, LONDON SW1X 9LA
TEL 01-245 1905 FAX 01-235 9305
TLX 266997 RAYYES G